مجلة إشكالات في اللغة والأدب مجلد: 12 عدد: 1، مارس 2023
ص: 280 - 294 E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

ظاهرة كسر أوائل الكلمات في لهجة منطقة بوسعادة

The phenomena of breaking the beginning of words in the dialect of the bou-saada region

سمية بلفول [1] / أ.عبد المجيد سالمي [2] *
Soumia belfoul [1] / abedlmajid salmi [2]
مخبر الدراسات والبحوث الإفرادية والصوتية
جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله
Algiers 2 university –Abu alqasim saadallah
soumia.belfoul@univ-alger2.dz [1] abdelsalmi@gmail.com [2]

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/12/01	تاريخ النشر: 2023/03/02

ملخص البحث

يتناول هذا المقال ظاهرة لغوية منتشرة في بعض اللهجات العامية بالجزائر، تحديدا في لهجة منطقة بوسعادة بولاية المسيلة، وهي ظاهرة كسر أوائل الكلمات، وذلك بتتبع أصول هذه الظاهرة وغيرها قديما وحديثا، والوقوف على أسبابها، ودواعي جنوح اللهجة البوسعادية نحوها، مدعمين ذلك بأمثلة ونماذج من الألفاظ المكسور أوّلها في نطق سكان بوسعادة.

والهدف من وراء هذه الدراسة التعريف بالمنطقة، وبأهم خصائصها النطقية، والوقوف على مدى موافقتها أو مخالفتها للنطق اللهجي العربي القديم.

الكلمات المفتاحية : لهجة، منطقة بوسعادة، كسر، أوّل الكلمات.

Abstract :

This article presents one the linguistic phenomena prevalent in some colloquial dialects in Algeria, especially in the dialect of Bou-Saada region, which is the phenomena of breaking the beginning of words , by tracing the origins of the phenomena , ancient and modern ones, and identifying its causes and reasons for the delinquency of Bou-Saada dialect towards it, supported by examples and models of wards that its beginning is broken in pronunciation of the resident of Bou-Saada region.

The aim of this study is to introduce the region, its most important pronunciation characteristic, and the extent to which it agrees or disagree with the ancient Arabic dialectic pronunciation.

Keywords: Dialect, Bou-Saada Region, Break, Beginning of words.

* سمية بلفول: soumia.belfoul@univ-alger2.dz

المقدمة :

إنَّ الامتداد الشّاسع الذي تتميز به الجزائر منحَها تنوعا لهجيًا واسعا، وفقا لما تنفرد به كلّ لهجة من عبارات ومفردات، قد يقتصر تداولها على رقعة واحدة أو تشترك مجموع المحكيات المستعملة هنا وهناك في تداول تعابير جامعة، وهو الأمر الذي يجعلنا نحكم على هذه اللهجات بالتداخل تارة والاختلاف تارة أخرى.

والتنوع اللهجي في الجزائر وغيرها من الأقطار العربيّة ما هو إلا امتداد للهجات سلفت كانت شائعة في القديم، أو هو تطور عن الفصحى بسبب ما يصيبها من تغير في الأصوات والأبنية والتراكيب استجابة لقوانين التطور اللغوي التي تمس جميع اللغات، والتي تساهم فيها مجموعة من العوامل: التاريخية، الطبيعة الجغرافية(التضاريس والمناخ)، ومستوى المعيشة، وعامل الاحتكاك، والتسهيل والتيسير وغيرها، وتضم اللهجة الجزائرية عدة صور نطقية مختلفة باختلاف سكان المنطقة التي يقطنونها، ومن بين الظواهر الصوتية الشائعة ظاهرة كسر أوائل الكلمات في منطقة بوسعادة.

والغاية من هذا البحث هو التعريف بالمنطقة، وتسليط الضوء على بعض الخصائص الصوتية التي تميز الناطقين من سكنة بوسعادة، محاولين بذلك الإجابة عن إشكالية مفادها: إلى أي مدى يمكن أن تكون ظاهرة الكسر امتدادا لنطق لهجي عربي قديم؟

منطلقين من فرضيات عدة أهمها:

- وجود لهجات عربية قديمة فصيحة يستخدمها أهل المنطقة.
- تعتبر ظاهرة الكسر من ابتداع سكان بوسعادة، فأصبحت عادة كلامية يتوارثها أهل المنطقة.
- أصالة ظاهرة الكسر في العربية.

أوّلا: اللهجة البوسعادية

اللهجة هي" مجموعة من الصفات اللغوية ذات نظام صوتي خاص ينتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة[1]، وهذه الصفات اللغويّة تمس عادة الجانب الصوتي أكثر من غيره، عرّفوها أيضا بأنّها:" مستويات محلية من الكلام تبعد إلى درجة كبيرة أو صغيرة عن اللغة الأم، إذْ يمكن التعرف عليها من خلال الرجوع إلى الأصول التاريخية لتلك اللغة، والتي تشكل مع المستوى المعياري كلًا واحدًا"[2]، ذلك أنّ اللهجات المحليّة الموزعة بحسب أقاليم (بيئات) الأمة الواحدة لا تنفصل تماما عن اللغة الأم، وإنّما تشترك معها في مجموعة من الظواهر التي تيسر اتصال الأفراد بعضهم ببعض.

1. التعريف بمنطقة بوسعادة

بوسعادة مدينة تابعة لولاية المسيلة، تبعد عن عاصمة الولاية بـ 68كلم يحدّها من الشمال بلدية أولاد سيدي إبراهيم، ومن الشرق بلدية الحوامد، ومن الغرب بلدية التامسة، ومن الجنوب الشرقي بلدية ولتام، ومن الجنوب الغربي بلدية الهامل، تغطي بوسعادة مساحة إجمالية تقدر ب 255كلم^{2}[3].

تُلقَبُ مدينة بوسعادة بمدينة السعادة، وببوابة الصحراء، ومدينة العلماء والعظماء، وغيرها من التسميات التي اختلفت الروايات حولها، ولمزيد من الاطلاع يمكن العودة إلى مراجع تتناول تاريخ هذه المدينة العريقة.

وصل عدد سكانها إلى ما يقارب 178ألف نسمة حسب تعداد سنة 2018م[4]، ولم تتوفر لدينا نسب حديثة موثوقة للتعداد الحالي، والأكيد أنّه في تزايد وأكبر مما ذُكِر.

كانت ولا تزال منطقة بوسعادة آهلة بالسكان، ترجع انتماءات السكان على أرضها إلى أصول متنوعة: العرب الهلاليون النازحون من شبه الجزيرة العربية والذين يشكلون الجزء الأكبر من التركيبة البشرية، والإدريسيون، وأولاد نايل وهم سلالة الولي الصالح ثامر بن محمد.[5]

تشتهر منطقة بوسعادة بأشكال تعبيريّة مختلفة؛ كالأمثال، والألغاز، والأشعار، والغناء الشعبي...الخ.

2. خصائص اللهجة البوسعادية:

هي إحدى اللهجات الجزائرية والعربية، يتحدثها أكثر من ثمانية ملايين شخص في الجزائر؛ من سكان بوسعادة وبعض مناطق ولاية المسيلة، ووسط ولاية الجلفة، وولاية الأغواط، وبعض المناطق الحدودية لولاية بسكرة، وتعتبر من أقرب اللهجات إلى العربية الفصحى ببنيتها الصوتيّة ومعجمها وتراكيبها[6]، فهي لا تكاد تخرج عن منظومة الظواهر المألوفة عند مستعملي اللغة العربيّة القدامى من قلب وإبدال وحذف وغيرها، وأهم الظواهر الصوتية التي تميز هذه اللهجة مايلي:

أ/ القلب المكاني: تتميز لهجة بوسعادة بظاهرة القلب المكاني، وهي" العملية التي يتم فيها تقديم أو تأخير أحد حروف اللفظ الواحد مع حفظ معناه"،[7] ويُعرَّف أيضا بأنّه:" إبدال مواقع الأصوات في الكلمة، فيتغير ترتيبها بتغير أصواتها المقدمة والمؤخرة على السواء مع حفاظ الكلمة على معناها.[8]

خصّ القدماء ظاهرة القلب المكاني بالدراسة منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت175ه)، الذي اشتهر بنظرية التقاليب اللغوية، ومن جاء بعده، يقول ابن فارس(ت395ه):" من سنن العرب القلب في الكلمة...كجذب وجبذ، وبكل ولبك."[9]

لقد ووردت ظاهرة القلب المكاني في لهجات عربية قديمة؛ ككنانة وتميم والحجاز، وكثير من العرب، يقول السيوطي:" الحجاز تقول لعمري وتميم تقول رعملي."[10]

وتبرز ظاهرة القلب المكاني في النطق البوسعادي في كثير من الألفاظ منها:

الشمس ← السمش (بتقديم السين على الشين)

عجوز ← عزوج (بتقديم الزاي على العين)

يلعن ← يعلق (بتقديم اللام على النون)

ب/ تخفيف الهمزات: تعدّ الهمزة من الأصوات التي تحتاج إلى جهد عضلي كبير في إنتاجها، فهي صوت حنجري شديد ومستثقل، لذلك كان النطق بها دون تخفيف ضربا من التكلف والصعوبة، لذلك عمدت اللهجة البوسعادية على غرار كثير من اللهجات المعاصرة والقديمة إلى تخفيف الهمزة إمّا بحذفها، أو بإبدالها ياء أو ألفا أو واوا طلبا للتسهيل والاقتصاد في الجهد المبذول:

حذفها في أوّل الكلمة: نحو

حذفها

أحمر ← حمر

أعور ← عور

أعمى ← عمى

جاء ← جا

ضوء ← ضو

غلاء ← غلا

إبدالها إمّا ألفا، أو واوا، أو ياءً: عبر سيبويه عن هذه العملية بقوله:" إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها فتحة وأردت أن تخفف، أبدلت مكانها ألفا، وذلك قولك في بأس وقرأت: باس، وقرات، وإن كان قبلها مضموما فأردت أن تخفف، أبدلت مكانها واوا، وذلك قولك في الجؤنة، والبؤس: الجونة والبوس، وإذا كان ما قبلها مكسورا أبدلت مكانها ياء[11]، ومثالها ذلك في اللهجة البوسعادية قولنا:

مؤمن ← مومن

رأس ← راس

هدأت ← هدات

ذئب ← ذيب

ج/ من بين القواعد العامة التي تبني اللفظ الشعبي المتداول في منطقة بوسعادة تسكين أواخر الكلمات بإسقاط الحركة الإعرابية عن الحرف الأخير، ذلك أنّ المجتمع العربي عموما والبوسعادي خصوصا لا يحافظ على علامات الإعراب، نحو: يكتبُ: يكتبْ، كسبَ: كسبْ.

د/ يستعمل سكان بوسعادة حرف (الشين) غالبا كأداة للنفي مع الإبقاء على حروف النفي نحو:

لم يرجع ← ما رجعش

لن أصبر ← ما نصبرش

لم أقدر ← ما نقدرش

هـ/ الإبدال: يُعد الإبدال من المباحث الصوتية الشائعة في اللغة العربية وفي لهجاتها القديمة والمعاصرة، وهو من الظواهر التي تناولها العلماء بالدّرس والعناية، عرّفوه بأنّه: إقامة حرف مقام حرف، إمّا ضرورة، وإمّا استحسانًا.[12]

ويحدث الإبدال عادة بين الأصوات المتقاربة في المخارج والصفات، ويكون في الصوامت والصوائت، ومن صور الإبدال في لهجة بوسعادة نذكر:

1. في الصوامت:

أ/ بين الغين والقاف: ورد هذا التبادل قديما في اللهجات العربية ومزال مستعملا في اللهجات الحديثة، وخاصة في بوسعادة، والمسوغ الصوتي لهذا الإبدال أنّ صوتي الغين والقاف متقاربين في المخرج، وجعلهما تمام حسان من الطبق مع توسع الطبق في حالة القاف حتى تشمل اللهاة باعتبارها قصوى أجزائه[13]، ومن أمثلته:

ب/ بين اللام والنون: نحو:

غ نم ← قنم ← ڤنا)

غربال ← قربال

غردا ية ← قردا ية

ج/ إبدال حرف القاف (ڤ)، ومن ذلك:

قمر ← قمر

تقول ← تقول

وقف ← وقف

رقد ← رقد(بمعنى نام)

د/ وبين الشين والسين، نحو:

الشجرة ← السجرة

الشجاعة ← السجاعة

يوسع إبراهيم نجا دائرة الإبدال ليشمل الحركات فيقول:" هو جعل حرف مكان حرف، أو حركة مكان أخرى." [14]

والحركات في العربية ثلاث هي: الفتحة، والضمة، والكسرة، وثلاثة من جنسها: الألف، والواو، والياء المديّة، وكلّها: "صوت مجهور يحدث أثناء النطق به أنْ يمر الهواء حرا طليقا من خلال الحلق والفم دون أنْ يقف في طريقه عائق أو حائل، ودون أنْ يضيّق مجرى الهواء تضييقا من شأنه أنْ يحدث احتكاكا مسموعا.[15]

تتبادل هذه الحركات الموقعية في الكلام، فينوب أحدها عن آخر محدثا بذلك تغيرا في المعنى كما هو الحال أثناء صياغة اسم الفاعل والمفعول من غير الثلاثي، وقد لا يحدث تغييرا فيحتفظ بالمعنى نفسه، كالإمالة مثلا، وبعض مظاهر النقل، ومن بعض مظاهر الإبدال في الصوائت:

- إبدال الياء ألفا إذا كانت أصل عين الفعل ياء، وأسند الفعل المضارع إلى ضمير الغائب، نحو: يَبيتُ ، يباتُ.

- إبدال الياء الساكنة ياء ممدودة إذا كانت لام الفعل ألفا وأصلها ياء، وذلك عند إسناد الفعل الماضي إلى ضمير المتكلم المفرد، نحو: اشتريتُ: شريتُ.[16]

ثانيا: حركة فاء الكلمة:

تتميز لهجة منطقة بوسعادة بكسر الحرف الأوّل من الكلمة سواء في الأسماء أو في الأفعال على خلاف اللهجات العاميّة في الجزائر التي تميل إلى تسكين الحرف الأوّل، والحقيقة أنّ هذه الظواهر الصوتية لها جذورها التاريخية وأصولها اللغوية، فجلّ الروايات تعزو ظاهرة الكسر إلى لهجات عربية قديمة تتنوع بين لهجة الحجاز ولهجة تميم، فنُسِب إلى لهجة الحجاز كسرها أوائل بعض الأسماء، وإلى تميم الضم، وذكرت كتب اللغة شواهد كثيرة تدل على ذلك، منها ما أورده السيوطي في كتابه المزهر تحت عنوان" ذِكر ألفاظ اختلف فيها لغة الحجاز ولغة تميم" فيقولون: رِضوان بالكسر بدل رُضوان بالضم، الحِج بالكسر بدل الحَجُّ بالفتح، مِرية ومُرية، القِنية والقُنوّة[17]، بإضافة إلى كسرهم فاء الصيغة الدّالة على الزراعة (فِعال) فيقولون: حِصاد وقِطاف.[18]

ومرد هذا الإبدال بين الحركات عند بعض الباحثين هو طبيعة البيئة الناطقة بهذه أو تلك؛ أي أنّ الطبيعة المشتملة على الضم تنتمي إلى البيئة البدوية، وأنّ المشتملة على الكسر تنتمي إلى البيئة الحضرية[19] ، وهو التفسير الذي قدمه أحمد مختار عمر أيضا بقوله:" إذا رويت لنا كلمة بروايتين إحداهما تشمل على ضم في موضع معين من هذه الكلمة، والرواية الأخرى تتضمن الكسر في الموضع نفسه، زعمنا أنّ الصيغة المشتملة على الضم تنتمي إلى البيئة البدوية وأنّ المشتملة على الكسر تنتمي إلى البيئة الحضرية.[20]

ولكن وجود الكسر عند الحجازيين لا يعني أنّه غير موجود في لهجات أخرى ومنها تميم؛ فبنو تميم يكسرون فاء (فعيل) إذا كان الحرف الثاني من تلك الصيغة حلقيًا، يقول الرضي:" أُطرد إتباع الفاء للعين في فعيل إذا كان عينه حلقيًا لمشاكلة العين، قالوا: رِغيف، وشِهيد، وشِعير."[21]

ونُقِلَ عن سيبويه قوله " في فعيل لغتان: فَعيل وفِعيل إذا كان من الحروف الستة، فإنّ الفاء تُكسر في لغة تميم، وذلك قولك: لِئيم، ونِحيف، ورِغيف، وبِخيل"[22] ، والحروف الستة هي الحروف الحلقية: الهمزة، والهاء، والعين، والغين، والحاء، والخاء، نسبة إلى الموضع الذي تخرج منه.

إلّا أنّ من العرب من يكسر فاء (فعيل) مطلقا، بغض النّظر إنْ جاء بعدها حرف حلقي أم لا، وربما كان ذلك من باب والقياس على هذه الألفاظ- التي عينها حلقية- فيحدث بينها مماثلة صوتية[23] ، إذا جاء بعد حركة الحرف الأوّل فيها حرف متلوٌّ بكسرة قصيرة أو طويلة، وهو ما نجده كثيرا في لهجة بوسعادة نحو: (كِثير، وكِبير، سِمين..) وهي الظاهرة التي تعرف عند المحدثين بمصطلح " التوافق أو الإتباع، أو الانسجام الحركي" vowel harmany، ونقصد به:" مماثلة حركة لحركة أخرى مجاورة قبلها أو بعدها مماثلة تامة"[24] ، وهو عند إبراهيم أنيس:" ظاهرة من ظواهر التطور في الحركات؛ فالكلمة التي تشتمل على حركات متباينة تميل في تطورها إلى الانسجام بين الحركات حتّى لا ينتقل اللسان من ضم إلى كسر إلى فتح في الحركات المتوالية[25] ، هربا من الثقل وطلبا للتسهيل، واقتصادا للجهد المبذول.

ولم يقتصر هذا النطق في الأسماء فقط بل تعداه إلى الأفعال، فالمتداول أنّ حرف المضارعة يُحرّك بالفتحة إلا إذا كان الفعل الماضي رباعيا فإنّه يضم، لكن بعض القبائل كانت تكسر حرف المضارعة، وهي الظاهرة التي تعرف "بالتلتلة" أو" بتلتلة بهراء" نسبة إلى قبيلة بهراء، وإلى قبائل أخرى: كأسد وقيس وهذيل وتميم وطيء وربيعة ولعامة العرب إلّا الحجازيين فلغتهم الفتح.[26]

والتلتلة كسر حرف المضارعة، وهي خاصة بالتاء، أو في حروف المضارعة مطلقا ما عدا الياء، فهو الحرف الوحيد الذي لا يُكسر من أحرف المضارعة، فيقولون: أنا إعلم، ونحن نِعلم، وأنت تِعلم، وهو يَعلمُ بفتح الياء، يعلِّل سيبويه ذلك بثقل الكسرة على الياء، إلّا أنّ الملاحظ هو شيوع هذا النوع -كسر الياء- في معظم اللهجات العربية المعاصرة وفي لهجة منطقة بوسعادة بالتحديد، على اعتبار أنّ الكسرة والياء مخرجهما واحد تقريبا، كما أنّ الكسرة تناسب الياء أكثر من الضمة أو الفتحة لذلك فإنّ تحقق الاتساق الصوتي والاقتصاد في المجهود العضلي عند النطق بها متوافر بينهما.[27]

ويرى رمضان عبد التواب أنّ كسر حروف المضارعة هو الأصل وأنّ هذه الظاهرة سامية قديمة توجد في العبرية والسريانية والحبشية، والفتح في أحرف المضارعة حادث في العربية القديمة، بدليل عدم وجوده في اللغات السامية الأخرى وبدليل ما بقي من الكسر في بعض اللهجات العربية القديمة، واستمراره حتّى الآن في اللهجات الحيّة المعاصرة في نحو: يِكتب، ويِفتح، ويِضرب، ويِقول، وأشباهها.[28]

وقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة بكسر حرف المضارعة، ومنها قراءة يحي بن وثاب، ومنصور بن المُعتمر في النساء: الآية 104 [فَإِنَّهم يِيلَمُونَ كَمَا تِيلَمُونَ]، وقرأ الأعمش النخعي، ويحي بن وثاب من سورة الفاتحة:الآية 5 :[إِيَّاكَ نِعْبُدُ وَإِيَّاكَ نِسْتَعِين][29]

ومن أجل ضبط هذه الظاهرة وضع العرب شروطا لذلك هي:

- أنْ يكون الفعل ثلاثيا من باب (فعِل يفعَل) فيقولون: إعلَم، ونِعلَم...الخ.
- إذا كان أكبر من أربعة بما فيها من أحرف الزيادة (أي خماسي وسداسي)، وأن يكون:
- مبدوءًا بهمزة وصل، مثل : استعان.
- مبدوءًا بالتاء وكان على وزن(تفعَّل) مثل: تعلَّم، وتفاعل كتشاجر، وتفعلل كتدحرج، إلَّا الياء.[30]

وإذا كان جنوح القبائل العربية عموما إلى ظاهرة الكسر سواء في الأسماء أو في الأفعال يُفسر بميل هذه القبائل في نطقها إلى مبدأ السهولة والتيسير والاقتصاد في الجهد العضلي خاصة إذا كان هذا الانتقال من الضمة إلى الكسرة، ذلك أنّ الضمة هي أثقل الحركات بخلاف الكسرة، فإنّ الدّارج على ألسنة الناطقين من سكان بوسعادة هو جعل الكسرة بدل الفتحة في كثير من الألفاظ، وهنا لا يمكن أنْ تفسر الظاهرة من باب السهولة والتيسير، ذلك أنّ الكسرة لا يمكن تصنيفها بأنّها أخف من الفتحة صوتيا، فالفتحة هي الأيسر والأسهل في النطق، لذا يمكن إرجاع نطق الألفاظ التي يتم فيها إبدال الفتحة بالكسرة، إلى أسباب أخرى الأرجح أنْ تكون من باب الإلحاق والقياس على غيرها مما كُسِر أوّله فأصبحت عادات كلامية متوارثة جارية على ألسنة الناطقين من سكنة منطقة بوسعادة، فالممارسة والمران والدربة تجعل من المستثقل خفيفا، وفيما يلي بعض النماذج التي توضِّح ظاهرة الكسر في أوائل الكلمات من المنطوق البوسعادي:

- في الأسماء:

جِبَلْ	←	جَبَلٌ
لِبَنْ	←	لَبَنٌ
كِرِيم	←	كَرِيم

ورد لفظ" **جِبَلْ**" في قولهم: العادة جِبَلْ والجِبَلْ ما يتحوّل، ويُضربُ هذا المثل في الأشخاص الذين يعتادون على أفعال وسلوكات معينة منذ الصغر، فيكون من الصّعب تغييرها.

و(جِبَلْ) اسم ثلاثي على وزن (فِعَلْ) بكسر الفاء وفتح العين، مع تسكين حركة الحرف الأخير، يقابله في النطق الفصيح (جَبَلٌ) على وزن(فَعَلٌ) بتوالي فتحتين، ثم حدث الإبدال في حركة الفتحة ؛ وهي صائت قصير أمامي متسع، يكون فيه اللسان مستويًا في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه، ويوصف بأنّه أخف الحركات[31]، ليصبح كسرة؛ وهي صائت قصير أمامي يتجمع فيه اللسان أثناء تشكيله نحو الطبق أو الغار، وتكون فيه الشفتين منفرجتين مسحوبتين إلى الوراء، وهو أثقل من صائت الفتحة[32]، فتصبح الكلمة بعد الإبدال (جِبَلْ) بكسرة قصيرة وفتحة، بعدما كانت في الأصل منسجمة، وبالتالي لا يمكن تفسير هذه الحالة بالانسجام والاقتصاد في الجهد العضلي، ولعل هذا النوع من الكلمات هو امتداد لنطق لهجي قديم أرجعه بعض المحدثين إلى التحضر آنذاك.

والتحليل نفسه يصدق على لفظ"**لِبَنْ**" في قولهم: اللّي شاهي اللِبَنْ ومدرَّقْ الطّاس؛ يُقالُ هذا المثل في الأشخاص الذين يريدون الحصول على شيء معين، ولا يقدمون الأسباب لذلك، وكلمة(لِبَنْ) اسم ثلاثي على وزن(فِعَلْ) بكسر الفاء، يقابله في الفصحى(لَبَنٌ) على وزن (فَعَلٌ) بفتح الفاء .

تقول اشويخة الزهرة وهي تمدح عم أولادها:

قِليل لِمْثال يعطي ما يدي كِريم لأخلاق قول بالتيسير[33]

فالكلمات (قِليل، كِريم) جاءت على وزن(فِعيل)، يقابلها في النطق الفصيح (قَليل، كَريم) بفتح ثم كسرة طويلة، فأبدلت الفتحة التي فوق القاف في (قليل) والكاف في (كريم) لتصبح كسرة، فتنسجم بذلك الكسر القصيرة مع الكسرة الطويلة التي بعد اللام في (قليل)، والرّاء في (كريم)، فتوالي الكسرة القصيرة مع الكسرة الطويلة أسهل من توالي الفتحة ثم الكسرة؛ لأنّ اللسان بذلك يعمل في اتجاه واحد، تحقيقا لمبدأ المماثلة والانسجام الصوتي بين الحركات، والهدف هو الاقتصاد في الجهد العضلي والتيسير في النطق.

- في الأفعال:

يعتبر الفعل الماضي الثلاثي المجرد الأكثر دورانا في لهجة منطقة بوسعادة لخفته في الكلام، والثلاثي المجرد بالنظر إلى ماضيه وحركة عينه ثلاثة أوزان: فَعَلَ، فَعُلَ، وفَعِلَ، هذا التنوع في حركة العين لا نجده عند الناطقين من سكان بوسعادة، فهم يلزمون وزنا واحدا وهو (فِعَلْ) بكسر الفاء وفتح العين دائما[34]، ومن ذلك:

شِبَعْ	←	شَبِعَ
سِمَعْ	←	سَمِعَ
ضِرَبْ	←	ضَرَبَ
بِكَى	←	بَكَى

يقول سكان بوسعادة:" اللّي فاتو الطِعام ايقول شِبَعْتْ، واللّي فاتو الكِلام ايقول سِمَعْتْ"، ويقال هذا المثل للذي يأتي متأخرا، أو فاته الكثير ويريد معرفة التفاصيل؛ فالفعلان(شِبَعْتْ)، و(سِمَعْتْ) فعلان ماضيان على وزن(فِعَلْتْ)، أصلها(شَبِعْتُ)، و(سَمِعْتُ) على وزن (فَعِلْتُ) بفتح الفاء وكسر العين، وتسكين تاء الفاعل في الأخير، والإبدال الذي حدث في هذين الفعلين هو الانتقال من فتح وكسر إلى كسر ثم فتح؛ أي من الحركة الخفيفة الفتحة إلى الأثقل منها وهي الكسرة في النطق الفصيح، ومن الأثقل إلى الأخف في النطق البوسعادي، وكلاهما يتطلب مجهودا عضليًا وإنْ كان في اللهجة يكون أكبر، وهو شائع عند البوسعاديين في نطقهم للأفعال الماضيّة الثلاثيّة، ويمكن تفسيره بأنّه امتداد لنطق قديم أو هو نتيجة الدربة والإلحاق فأصبح على إثر ذلك الثقيل خفيفا.

وقولهم في "ضِرَبْ" و"بِكَى": ضِرَبْنِي وبِكَى وسِبَقْنِي وشِكى"؛ فالكلمات (ضِرَبْنِي، بِكَى، سِبَقْنِي، شِكَى) مثلا أصلها (ضَرَبَ، بَكَى، سَبَقَ، شَكَى) أفعال ثلاثيّة ماضية جاءت على وزن(فَعَلَ) بتوالي الفتحات في النطق الفصيح، ثم حدث الإبدال في حركة الحرف الأوّل (الفتحة)، لتنتقل إلى كسر قصيرة، فتصبح الأفعال بعد الإبدال (ضِرَبْ، بِكَى، سِبَقْ، شِكَى) بكسرة قصيرة ثم فتحة قصيرة، ولا شك أنّ الانتقال من الكسر إلى الفتح يتطلّب مجهودا عضليّا أكبر مما لو انسجمت الحركات فيما بينها، وربما يعود السبب للعلة نفسها التي ذُكِرت في الفعلين الأولين.

وما قيل في الفعلين (ضِرَبْ، وبِكَى) ينطبق تماما على الفعل (خِزَرْ) في قولهم:" اللّي خِزَرْ للسِما عِما"، ويُضربُ هذا المثل في الذي ينظر إلى من هم أعلى منه مرتبة، أو مالاً، أو مُلكًا دون قناعة، فإنَّ ذلك سيؤدي به إلى الحسد والنقمة، وربما يصل به إلى الكفر وهو عين العمى.

فالفعل الماضي(خِزَرْ) أصله (خَزَرَ) بمعنى (نَظَرَ) ثلاثي على وزن(فَعَلَ) بتوالي الفتحات، ثم أبدلت فتحة الحرف الأوّل إلى كسرة، فأصبح (خِزَرْ) على وزن (فِعَلْ).

أما الفعل المضارع فقد سارت اللهجة البوسعادية على خطى القبائل العربية في كسرها لحروف المضارعة خاصة الياء، فيقولون: يِفْهَمْ، يِسْمَعْ، نِتْوَكَّلْ، نِمشي،.... الخ.

يقول الشاعر عامر أم هاني:

قِمَرْ الليل إذا جا عِنّي منْ ثَمْ هُوَ زَهْوُ لبالْ نِشْتي طلعاتو

ووَنسني بيه للغربة يِفْهَمْ نِحْكيلو لِمْحان عنّي وُشْ فاتو[35]

يصف الشاعر في هذين البيتين القمر، ويبدي إعجابه به، فهو المؤنس له في غربته، ووظّف الشاعر في ذلك الأفعال المضارعة (نِشْتي، يِفْهَم، نِحكيلو) على وزن (نِفْعَلْ، يِفْعَل) بكسر حروف المضارعة.

الفعل(يِفهَم) على وزن (يِفْعَلْ) وأصله (يَفْهَمُ) وماضيه (فَهِمَ)، كُسِرَ حرف مضارعه لأنّه ثلاثي من باب (فَعِلَ يَفْعَلُ) وهو الشرط الذي وضعه القدماء لكسر حروف المضارعة مع أنّهم كرهوا كسر الياء استثقالا، إلّا أنّ سكان بوسعادة يكسرون كل أحرف المضارعة بما فيها الياء.

والفعل (نِحكي) جاء على وزن (نِفْعَلْ)، أصله (أحكي) وماضيه (حَكَى)، وهو من باب(فَعَلَ يَفْعَلُ)، إلّا أنّ البوسعاديين ومعهم بعض القدماء كسروا حرف مضارعه لأنّ مضارع هذا الفعل مفتوح العين، فشُبِّه بمضارع (فعِل)، وأُبدِلت الألف الدّالة على ضمير المفرد في الفصحى بالنون التي تدلّ على ضمير الجمع في الفصحى، وعلى ضمير المفرد المتكلم في اللهجة.

وفي مثال آخر من قول الشاعر العطوي عبد القادر في قصيدته" البيت الحمراء"

نِسْري على لِفجار وانشق البُكرة نِتْوَكَّلْ على خالقي عظيم الجاه[36]

يصدق على الفعل (نِسْري) ما ذُكِر أعلاه في الفعل (نِحكي).

أمّا الفعل الخماسي (نِتْوَكَّلْ) جاء على وزن(نِتْفَعَّلْ)، وأصله (أتوكَّلُ) على وزن (أتفَعَّلُ) وماضيه (توكَّل)، كُسِرَ حرف مضارعه لأنّه جاء مبدوءًا بالتاء وجاء على وزن (تفَعَّلَ) .

والملاحظ على ما تمّ ذكره من أفعال، أنّ سكان بوسعادة لا يخرجون في كسرهم للأفعال المضارعة عن الشروط التي وضعها القدماء لهذه الظاهرة، إلّا أنّهم لا يحصرونها في أحرف بعينها لأنّها عندهم تشمل كلّ أحرف المضارعة.

وفي الأمر يقولون: اِشر، اِمش، مسبوق بألف وصل، والهدف من هذه الهمزة هو تجنب البدء بالساكن أي الصامت غير المتبوع بحركة وهم في ذلك يشبهون النطق الفصيح، وجيب، وبِيع، بتطويل الحركة القصيرة بدل بِعْ في اللغة الفصيحة.

الخاتمة:

ناقش هذا البحث ظاهرة كسر الحرف الأول في لهجة منطقة بوسعادة، وتوصل إلى:

- أنّ للحركات أهميّة واضحة في بيان اختلاف اللهجات فيما بينها، وفي توضيح الاختلاف بين لهجات اللغة الواحدة، وفي بيان خصائص لهجة بعينها.
- أنّ ظاهرة الكسر في منطقة بوسعادة هي سمة بارزة تميّزُ أهل المنطقة ولا تقتصر على ألفاظٍ بعينها.
- أنّ كسر أوائل الكلمات في لهجة بوسعادة، ليس من ابتداع السكان، وإنّما هو امتداد للتنوع اللهجي القديم، خاصة وقد أشرنا أنّ من سكان بوسعادة من تعود أصوله إلى شبه الجزيرة العربيّة، فمن الطبيعي أنْ يتوارث أبناء المنطقة لهجتهم الأم ويكون لها أثر واضح في ألفاظهم المنطوقة.
- توصل البحث أيضا إلى أنّ كسر حروف المضارعة ظاهرة أصيلة تعود إلى لغة قبائل عربية قديمة، ينطقها أهل بوسعادة مع كلّ حروف المضارعة وليس التاء فقط.
- أنّ اللهجة البوسعادية كغيرها من اللهجات الجزائرية والعربية تميل إلى الاقتصاد في الجهد العضلي أثناء نطق كثير من الألفاظ واختيار الأسهل من الأصوات لتسهيل عملية الكلام، وهو ما يفسّر وجود ظاهرة التوافق أو الإتباع الحركي لدى الناطقين بها.

- أنّ حياة البدو التي يعيشها سكان بوسعادة والبعد عن التأثيرات التي تفرزها المدن، والطابع الديني لأهل المنطقة مع انتشار المساجد والزوايا والعلماء، وتمسك أهل المنطقة بكل ما هو تراث، كلّها عوامل ساعدتهم في الحفاظ على كثير من خصائص اللغة الفصحى.

- أنّ الاختلافات النطقية في الجزائر لا يجب النظر إليها على أنّها أشكال خاطئة من الحديث الذي لابد أنْ يُعدَّل، والأصح أنْ يتم التعمق في خصائصها وتحديد قواعدها الصوتية، وما تنتجه من تفاعلات فونولوجية تتحكم في تراكيبها.

هوامش:

[1] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (2003م)، المكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة)، ص15.

[2] سهير كاظم حسن، الظالمي حامد ناصر، الدراسة التاريخية للظواهر التطريزية والظواهر الصوتية في اللغة العربية عند المستشرقين، (2016م)، مجلة آداب البصرة، العراق، العدد الثامن والسبعون، ص 91.

[3] أحمد عزوز، نسب سيدي ثامر، (2014م)، دار زاد الطالب للنشر والتوزيع المحمدية، (الجزائر)، ص73.

[4] أحمد زياد، مدينة بوسعادة الجزائرية: https:/read.opensooq.com، (2022/01/20م): 18:20د.

[5] أحمد عزوز، مرجع سابق، ص77.

[6] أمباركة بن عبد الرحمن، الأحكام الإعرابية واللهجات العربية المعاصرة، (2015م)، رسالة ماستر، جامعة الجلفة، (الجزائر)، ص65.

[7] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، (1983م)، الدار العربية للكتاب، (القاهرة)، ج2، ص647.

[8] محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، (1969م)، دار الشرق، (بيروت)، ص274.

[9] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: بسيج أحمد حسن، (1979م)، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ص153.

[10] جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط: جاد محمد أحمد المولى، وآخرون، (دت)، مكتبة دار التراث، (القاهرة)، ج2، ص277.

[11] سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، (1992م)، مكتبة الخانجي، (القاهرة)، ج3، ص543، 544.

[12] ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، (1993م)، دار القلم، (دمشق)، ص69.

[13] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (1990م)، مكتبة الأنجلو مصرية، (القاهرة)، ج2، ص93.

[14] إبراهيم محمد نجا، اللهجات العربية، (دت)، دار الحديث، (القاهرة)، ص69.

[15] كمال بشر، علم اللغة العام، (1980م)، دار المعارف، (مصر)، ص105.

[16] ينظر: سميرة شيخ، تجليات ظاهرة الإبدال الصوتي في اللهجات العربية الحديثة، مجلة الموروث، (2017م)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، المجلد 5، العدد 5، ص252، 253.

[17] ينظر: جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج2، ص276.

[18] صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، (2009م)، دار الملايين، (بيروت)، ص84.

[19] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص177.

[20] ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (1998م)، عالم الكتب، (القاهرة)، ص34.

[21] رضي الله الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تح: عمر يوسف حسن، (1975م)، مؤسسة الصادق، (طهران)، ج4، ص239.

[22] ابن سيدة، المخصص، تح: إبراهيم جفال، (1996م)، دار إحياء التراث، (لبنان)، (مصر)، ج4، ص330،331.

[23] القياس على الألفاظ التي تكون عينها حلقية فيكسر ما قبلها؛ أي إلحاقها بها أو النطق على منوالها، ويقع تحت هذا النوع قولهم: (رِبيع، طِبيب، سِمين،...)، فنجدهم يبدلون الفتحة التي في الحرف الأوّل في كلمة (طبيب) مثلا كسرة لتصبح (طِبيب)، فيحدث بذلك انسجام بين الكسرة التي تحت الطاء مع الكسرة الطويلة التي في الباء، فمجيؤها على هذه الشاكلة أسهل، حتّى لا ينتقل اللسان من فتح إلى كسر في الحركات المتوالية، بل يكون انتقاله من كسرٍ إلى كسر، فيعمل بذلك اللسان في اتجاه واحد، والهدف هو الاقتصاد في الجهد العضلي.

[24] أحمد محمد عبد العزيز علام، الإتباع الحركي فيما ليس بإعراب في العربية، مجلة الجمعية العلميّة السعودية للغة العربية، (جمادى الآخرة 1431هـ)، العدد 5، ص77.

[25] براهيم أنيس، في اللهجات العربية، ص86.

[26] ينظر: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، (1999م)، مكتبة الخانجي، (القاهرة)، ص124.

[27] عبد الناصر عبد الله الجبري، لهجات العرب في القرآن الكريم، (1971م)، دار الكتب العلمية، (بيروت)، ص68.

[28] رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، ص265./ رمضان عبد التواب، بحوث ودراسات في فقه اللغة، (1995م)، مكتبة الخانجي، (القاهرة)، ص265.

[29] إسماعيل زغودة، وآخرون، دراسة لغوية في المستويين الصرفي والنحوي في اللهجات العربية، (2019م)، مجلة أدبيات، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، المجلد1، العدد2، ص173.

[30] ضاحي عبد الباقي، لغة تميم دراسة تاريخية وصفيّة، (1985م)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، ص208.

[31] كمال بشر، علم اللغة العام: الأصوات، ص152.

[32] نفسه، ص140.

[33] سعاد أرفيس، الحوار في الشعر الشعبي لمنطقة بوسعادة، (2020م)، أطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة، (الجزائر)، ص21

[34] ينظر: عمر يحياوي، الدلالة الإفرادية لصيغة الفعل الماضي في لهجة منطقة بوسعادة، (2017م)، جامعة مولاي سعيدة، المجلد الرابع، العدد الثامن، ص327.

[35] نجاح أوكالي، عبد الحميد جوبر، الشعر الشعبي في منطقة بوسعادة، (2011م)، مجلة الأحمدي، جامعة المسيلة، المجلد1 ، العدد2، ص259.

[36] سعاد أرفيس، الحوار في الشعر الشعبي لمنطقة بوسعادة، ص129.

المراجع:

(1) الكتب:

إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، (2003م)، المكتبة الأنجلو مصرية (القاهرة).

إبراهيم محمد نجا، اللهجات العربية، (دت)، دار الحديث، (القاهرة).
أحمد عزوز، نسب سيدي ثامر، (2014م)، دار زاد الطالب للنشر والتوزيع المحمدية، (الجزائر).
أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، (1983م)، الدار العربية للكتاب، (القاهرة)، ج2.
أحمد مختار عمر، علم الدلالة، (1998م)، عالم الكتب، (القاهرة).
تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، (1990م)، مكتبة الأنجلو مصرية، (القاهرة)، ج2.
جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط: جاد محمد أحمد المولى، وآخرون، (دت)، مكتبة دار التراث، (القاهرة)، ج2.
ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، (1993م)، دار القلم، (دمشق).
رضي الله الاستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تح: عمر يوسف حسن، (1975م)، مؤسسة الصادق، (طهران)، ج4.
رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، (1999م)، مكتبة الخانجي، (القاهرة)/ بحوث ودراسات في فقه اللغة، (1995م)، مكتبة الخانجي، (القاهرة).
سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، (1992م)، مكتبة الخانجي، (القاهرة)، ج3.
ابن سيدة، المخصص، تح: جفال خليل إبراهيم، (1996م)، دار إحياء التراث، (لبنان)، (مصر)، ج4.
صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، (2009م)، دار الملايين، (بيروت).
ضاحي عبد الباقي، لغة تميم دراسة تاريخية وصفيّة، (1985م)، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، (القاهرة).
ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تح: بسيج أحمد حسن، (1979م)، دار الكتب العلمية، (بيروت).
كمال بشر، علم اللغة العام، (1980م)، دار المعارف، (مصر).
محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، (1969م)، دار الشرق، (بيروت).
عبد الناصر عبد الله الجبري، لهجات العرب في القرآن الكريم، (1971م)، دار الكتب العلمية، (بيروت).

(2) المقالات

أحمد محمد عبد العزيز علام، الإتباع الحركي فيما ليس بإعراب في العربية، مجلة الجمعية العلميّة السعودية للغة العربية، (جمادى الآخرة 1431هـ)، العدد 5.
إسماعيل زغودة، وآخرون، دراسة لغوية في المستويين الصرفي والنحوي في اللهجات العربية، (2019م)، مجلة أدبيات، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، المجلد الأول، العدد الثاني.
سميرة شيخ، تجليات ظاهرة الإبدال الصوتي في اللهجات العربية الحديثة، مجلة الموروث، (2017م)، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، المجلد 5، العدد 5.
سهير كاظم حسن، الظالمي حامد ناصر ، الدراسة التاريخية للظواهر التطريزية والظواهر الصوتية في اللغة العربية عند المستشرقين، (2016م)، مجلة آداب البصرة، العدد الثامن والسبعون.
عمر يحياوي، الدلالة الإفرادية لصيغة الفعل الماضي في لهجة منطقة بوسعادة، (2017م)، جامعة مولاي سعيدة، المجلد الرابع، العدد الثامن.

نجاح أوكالي، عبد الحميد جوبر، الشعر الشعبي في منطقة بوسعادة، (2011م)، مجلة الأحمدي، جامعة المسيلة، المجلد1 ، العدد2.

(3) الرسائل الجامعية

أمباركة بن عبد الرحمن، الأحكام الإعرابية واللهجات العربية المعاصرة، (2015م)، رسالة ماستر، جامعة الجلفة، (الجزائر).

سعاد أرفيس، الحوار في الشعر الشعبي لمنطقة بوسعادة، (2020م)، أطروحة دكتوراه، جامعة المسيلة، (الجزائر).

(4) المواقع الإلكترونية

أحمد زياد، مدينة بوسعادة الجزائريةhttps:/read.opensooq.com (2022/01/20م): 18:20د.